القاعدة الأولى: الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقِرُّون بتوحيد الربوبية

القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مُقِرُّون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام؛ والدليل قوله تعالى: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ } . هذه هي القاعدة الأولى؛ وذلك لأن القبوريين يدَّعون أن معنى "لا إله إلا الله": لا خالق إلا الله، فيقولون: الإله هو الخالق، الإله هو الذي يقدر على الاختراع. هكذا يقول القبوريون، وهذا غير صحيح؛ لو كان كذلك ما خالفوا فيه، المشركون الأولون لما قال: لهم قولوا لا إله إلا الله امتنعوا، قال الله تعالى: { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ } . فيمتنعون من قول "لا إله إلا الله"، ويسمون معبوداتهم آلهة، والإله عندهم هو الذي تألهه القلوب، أي تحبه وتعظمه وتجله وتحترمه، وتخضع له وتخشع له وتتواضع بين يديه، هذا هو الإله، وليس الإله الخالق، فإنهم يعرفون أن الخالق هو الله وحده، المشركون الأولون -مشركو العرب وغيرهم- كلهم يعرفون أن الخالق هو الله وحده، ولا ينسبون لغيره شيئا من الخلق، الخلق لله وحده، يعترفون بذلك، ولا ينسبون لمخلوق أية شيء من التصرف، فهكذا كان شركهم. أما الخلق والرزق فإنهم يعترفون بأنه من الله، يعترفون ويقرون بأن الله هو الذي خلقهم، قال الله تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } من الذي خلقكم؟ الله، الله هو الذي خلقنا، من الذي خلق السماوات وخلق الأرضين؟ يعترفون بأنه هو الله، قال تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } فهم يعترفون بأن الله هو الذي خلق السماوات والأرض. وهكذا يعترفون بأنه الذي يدبر الأمور في هذه الآية: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } من الذي ينزل المطر؟ من الذي يرسل السحب؟ من الذي يرسل الرياح فتثير سحابا؟ يقولون: هو الله. من الذي ينبت النبات؟ من الذي خلق هذه الأرض وجعلها قابلة للنبات -قابلة لأن تنبت-؟ يعترفون بأنه هو الله. يقول: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } أي من الذي يرزقكم هذا الرزق؟ { أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ } من الذي خلقكم وخلق السمع والبصر في كل هذه المخلوقات؟ يعترفون بأنه هو الله، لو اجتمع الخلق كلهم على أن يخلقوا عينا مثل هذه العين التي في أصغر المخلوقات -التي مثلا في البعوضة ونحوها، أو في العصفور وما أشبهه؛ لا يقدرون على أن يخلقوا هذه العين بطبقاتها وببصرها وبما فيها. كذلك أيضا هذا السمع الذي جعله الله تعالى في الإنسان، بل وفي الحيوانات تسمع؛ يعني الوحوش والطيور وما أشبهها جعلها الله سميعة تسمع هذه الأصوات، هل أحد يقدر على أن يخلق مثل هذه الحاسة التي تدرك الأصوات؟ من الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي؟ يعترفون بأنه هو الله، الله تعالى هو الذي يخرج النبات من الأرض، النبات الذي هو حي؛ يعني يتنامى من الأرض الميتة، كما في قول الله تعالى: { فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا } { فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } يخرج هذا النبات الحي من هذه الأرض الميتة. { وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ } أي: هذا الثمر كأنه ميت؛ لأنه لا يتنامى، يخرجه من هذا الشجر الحي، وكذلك يخرج كل حي من ميت، مثّل بعضهم بإخراج البيض -الذي هو ميت- من الطائر، وإخراج الأفراخ -التي هي حية- من هذا البيض الذي هو ميت وما أشبه ذلك، يعترفون بأن هذا هو الله وحده. من الذي يدبر الأمر، الذي يدبر هذه الأمور؟ من الذي يرسل الرياح، وينشئ السحاب، ويسير الشمس والقمر، ويسير النجوم والأفلاك ويدبرها، ويسهل لكل رزقه؟ الحاصل أن المشركين يعترفون بأن هذا لله وحده: { فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ } والآيات كثيرة تدل على أن المشركين الأولين يعترفون لله بأنه هو ربهم وهو خالقهم، ومع ذلك سماهم الله تعالى مشركين، فهذه هي القاعدة الأولى.